

محاضرات النقد الأدبيّ المعاصر

مطبوعة بيداغوجية
موجّهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس
الشّعبة:

دراسات نقدية

الأفواج: (6-7)

السّداسي الثالث

إعداد الدكتورة:

أسماء حديد

أستاذ محاضر رتبة "أ" بقسم اللغة والأدب العربي
جامعة محمد الصديق بن يحي - تاسوست (جيجل)

السنة الجامعيّة:

2026-2025

المحور الأول:

يتضمّن المحاضرات التالية:

المحاضرة الأولى:

النقد الأدبي والمصطلحات المجاورة (النظرية والتاريخ)

المحاضرة الثانية:

مرجعيات النقد الأدبي (الفلسفة والعلوم الإنسانية)

المحاضرة الثالثة:

ماهية النقد الأدبي (النظرية والإجراء)

المحاضرة الرابعة:

الحداثة وما بعد الحداثة في النقد الأدبي المعاصر

المحاضرة الثالثة:

النقد الأدبي والمصطلحات المجاورة

(نظرية الأدب والتاريخ الأدبي)

-تمهيد:

نستهدف في هذه المحاضرة تحديد الحقل أو المجال المعرفي، والمتّمل في: الدراسات الأدبية والنقدية: المفهوم، والعلاقة بينهما. مصطلح النقد الأدبي والمصطلحات المجاورة في الثقافة الغربية: (نظرية الأدب) و(التاريخ الأدبي)؟

أولاً- في التلازم بين أقطاب الثالوث المفهومي (نظرية الأدب-النقد-التاريخ):

وفقاً لما تبناه رينيه ويليّك في وضع حدود التعريفات الاصطلاحية في الحقل الأدبي، نوّكد إلى جانب فضل ثامر أهمية فهم ماهية المصطلح في علاقة تلازمية مع المصطلحات المجاورة، ونتساءل معه: هل اهتمّ النقاد والباحثون العرب بإيضاح مفاهيم هذه المصطلحات الأساسية؟ من الضروري مقارنة مدلول المصطلح النقد الأدبي في علاقة بالمصطلحات المجاورة: النظرية الأدبية والتاريخ الأدبي.

ذكر فضل ثامر في كتابه اللغة الثانية⁸⁶، مجموعة مراجع في النظرية الأدبية عنيت بتوضيح مفاهيم المصطلحات الأساسية المقاربة لمصطلح نظرية الأدب "تجنّباً لتداخل المصطلح مع المفاهيم المقاربة"⁸⁷. في حين أغفلت مراجع أخرى هذه المشكلة الاصطلاحية كما إن هنالك "مؤلفات تتداخل فيها الحدود بين النظرية الأدبية والنقد الأدبي والمنهج النقدي والمقاربة النقدية والنقد التطبيقي بحيث تضع الفواصل والخصوصيات الاصطلاحية"⁸⁸.

يشير فضل ثامر إلى أهمية الإسهام الذي قدّمه رينيه ويليّك، حيث أقام تمييزاً بين مصطلحات ثلاث هي: النظرية الأدبية، النقد الأدبي، التاريخ الأدبي. لقد وقف رينيه ويليّك في دراساته المحورية على شرح الثالوث المقدّس للدراسات الأدبية

⁸⁶ فضل ثامر، مرجع سابق، صص 87-88

⁸⁷ المرجع نفسه، ص 88

⁸⁸ المرجع السابق، ص 88

والنقدية: الوعي النظري، الوضوح الفكري، مناهج البحث المنظّمة. الوعي النظريّ هو النظرية الأدبية، الوضوح الفكريّ يشير إلى الفلسفة، مناهج البحث يشير إلى النقد الأدبيّ.

ويمكن أن نلاحظ محورية النظرية ضمن الحقل الأدبي والنقدي: يركّز رينيه ويليّك في أبحاثه النقدية على النظرية، ويؤكد أهميتها الجوهرية في حقل الدراسات النقدية أي أنها المدخل والمبدأ للدراسات النقدية، وضرورة الوصل بينها وبين قطبي النقد والتأريخ. بقدر ما يلحّ على وصل النقد بالنظرية؛ فتعريف النقد من وجهة نظره ينبغي أن ينطلق من هذه العلاقة التلازمية الجدلية، أي إن مقارنة مفهوم النقد بمعزل عن النظرية عمل غير منهجي ويتضمن مغالطة معرفية قد يقع فيها الباحثون والطلبة الجامعيون.

وكذلك الشّأن مع مصطلح التأريخ: "النظرية والنقد والتأريخ تتعاون في البحث الأدبيّ لتحقيق المهمة الأساسية ألا وهي وصف العمل الفنيّ وتفسيره وتقييمه أو وصف أيّ من الأعمال الفنية وتفسيرها وتقييمها"⁸⁹. فهذا التداخل يجعل من عملية الفهم مرهونة بوضع كل من هذه المصطلحات في علاقة تجاور، لأنّ كلّ مصطلح "يستوعب الآخر استيعاباً شاملاً، بحيث لا يمكن فهم نظرية الأدب بمعزل عن النقد أو التأريخ، أو فهم النقد دون نظرية الأدب والتأريخ، أو التأريخ بدون نظرية أو نقد"⁹⁰. وبالرغم من محاولات العزل إلا أن التداخل واقع يفرض نفسه.

وعليه يتطلب منا المقام وقفة مع كل مصطلح على حدة لننتقل بعدها إلى إضاءة الفوارق والتميزات الدلالية الدقيقة فيما بينها ليتسنى للباحث الوقوف على حقيقة أبعاد هذه العلاقة الجدلية وحدودها أيضاً؟ ما الفوارق الدلالية بين هذه المصطلحات وما وجه التقارب فيما بينها؟

ويؤكد ويليّك واوستن، بداية، ضرورة التمييز بين النظرية والنقد والتأريخ: "من الأفضل أن نلفت النظر إلى هذه التّمييزات، بأن نضع في باب "نظرية الأدب" دراسة

89 رينيه ويليّك: تاريخ النقد الأدبي الحديث (1950-1750)، م 1، أواخر القرن الثامن عشر، تر:

عبد المنعم مجاهد، المشروع القومي للترجمة، 1998، ص 371

90 رينيه ويليّك واوستن واوين، مرجع سابق، ص 41

مبادئ الأدب، مقولاته، معايير...وبأن نفرّقها عن دراسات أعمال فنّيّة معيّنة بتسمية هذه باسم "النقد الأدبي" (وهو سكونيّ في معالجته) أو باسم "التاريخ الأدبي"⁹¹. ويقول: "علينا أن نُميّز بين النّظر إلى الأدب كنظام غير خاضع لاعتبارات الزّمن وبين النّظرة التي تراه في الأصل على أنّه سلسلة من الأعمال المنظّمة حسب نسق تاريخيّ وعلى أنّه أجزاء متّمة للعمليّة التّاريخيّة...هناك تمييز أبعد بين دراسة المبادئ والمعايير الأدبيّة ودراسة أعمال أدبيّة معيّنة: سواء أكانت دراستنا لها حسب التّسلسل التّاريخيّ أو بمعزل عنه"⁹².

وخلاصة القول، إنّ فهم العلائق بين هذه المفاهيم يستلزم الرّجوع إلى هذه المصطلحات نفسها، للوقوف على دلالة كل مصطلح أو مقاصده بالمفهوم الذي يتبناه رينيه ويليك لكلّ من النقد والتّاريخ الأدبيّ. ما يساعدنا على تحليل العلائق الدلالية بين هذه المفاهيم: أي كيف تتداخل فيما بينها لتشكل حقلا كليا موحدًا هو حقل الدّراسات النقدية؟

ثانيا- في مفهوم نظرية الأدب:

ماهي النّظرية وما نظريّة الأدب؟ وما علاقتها بالنّقد الأدبيّ؟
نظرية الأدب مصطلح مركّب من كلمتين: نظرية + أدب. فالنّظرية (لفظ أجنبي) "بوجه عامّ، ما يُوضّح الأشياء والظّواهر توضيحًا لا يُعوّل على الواقع" (2) فرض علميّ يربط عدّة قوانين بعضها ببعض، ويردّها إلى مبدأ واحد يمكن أن نستنبط منه حتما أحكاما وقواعد مثل نظريّة الذرّة"⁹³. ونقول النّظريّ (الاجنبى): "نسبة إلى النّظرية، وهو ما يُقابل العمليّ (...) أو التّطبيقيّ (...)". وهذا اللفظ "يُستخدم أحيانا للرّواية إشارة إلى الاهتمام بأشياء لا صلة لها بالواقع". والمصدر النّظر (الاجنبى) بالمفهوم العامّ: "نشاط ذهنيّ هدفه العلم والمعرفة، يقابل العمل"⁹⁴.

91 المرجع السابق، ص 40.

92 المرجع نفسه، ص ن.

93 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1 - ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982، ص 202.

94 المرجع نفسه، ص 201

وإذن، تجسّد النّظرية فعل تفكير في ماهية الظّاهرة غايته تحقيق المعرفة بها وينتهي إلى إنتاج معرفة ما. والتي تُعرّف على أنّها "ثمرة التّفايل والاتّصال بين ذات مُدرّكة وموضوع مُدرّك"⁹⁵، وهو ما يؤكّد تاريخيّة النّظرية التي تعبّر عن مرحلة تاريخيّة ومنظومة ثقافية محدّدة وهو ما سنعالجه في حينه. فما الذي نعنيه بالماهية: ماهية الشّيء، أو الظّاهرة، موضوع النّظر؟

تشير كلمة الماهية وعموماً، من منظور فلسفيّ انطولوجيّ: للظّاهرة أبعاد ثلاث يمكن أن تسهم في تحديد ماهيتها: أصل وجودها، طبيعتها، وغايته. (مصدر الوجود، الطبيعة، الوظيفة أو الدور، أو المهمّة أو الهدف من هذا الوجود)، وعليه فإن البعد الانطولوجيّ للظواهر، الأشياء، الأحداث، الموجودات... يتلخّص في تداخل هذه الأبعاد أو المستويات الثلاثة، ولذلك فإنّ فهم الظواهر انطولوجياً أو فهم ماهياتها يتطلّب يستلزم طرح الإشكال الآتي: ما هو أصل وجود الظاهرة؟ ما هي طبيعتها أو مما تتكوّن؟ وما الغاية من وجودها؟ والإجابة عن هذه الأسئلة الرئيسة هي بمثابة اقتراب أوّلي أو نهائيّ من ماهية الظاهرة موضوع النّظر.

بما أنّ النّظرية تمثّل نسقاً من الفروض العلميّة التي تنبني على مبدأ واحد ينطلق منه المنظّر في استنباط القواعد، القوانين، وربطها ربطاً محكماً داخل نسق موحد متجانس، فما الذي يعنيه لفظ المبدأ بداية؟ بما أنه المبتدى وعليه يتحدّد المنتهى، وهو المحدّد لطبيعة المقدّمات والتي تحدّد لنا بدورها طبيعة النتائج؟

يعرّف صليباً مصطلح المبدأ (اجنبي) (المعجم الفلسفي) من زوايا عدّة: المنطقية: "القضيّة التي يُستنبط منها، ولا تُستنبطُ هي من قضيّة أخرى. يقول الجرجاني: "المبدأ ما يُعلّم بذاته ويحصل منه العلمُ بشيءٍ آخر" (التّعريفات)⁹⁶ 96
الابستمولوجية، الأخلاقية والفنيّة "قاعدة تنظيم السُّلوك والإنتاج الفنيّ، مثل

95 المرجع نفسه، صص 186-187

96 المرجع السابق، ص 167.

المبادئ الأخلاقية ومبادئ الفن"⁹⁷، الميتافيزيقية "مصدر الوجود أو الفعل، ومنه العلة الأولى، يقول ابن سينا: "المبدأ كلُّ ما يحصلُ منه وجودُ شيءٍ آخر"⁹⁸.

ولعلَّ أهمَّها بالنسبة لسياق موضوعنا هي الناحية الاستيمولوجية؛ "مبادئ العلم أسسه الرئيسية التي يخضع لها في نموّه وتطوّره. واللفظ كثيرُ الورد في عناوين بعض المؤلفات الفلسفية، مثل "مبادئ الفلسفة لديكارت"، والمبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية لنيوتن"⁹⁹. وعليه فإنَّ فهم أيّة نظرية يستلزم الرجوع إلى إيضاح المبدأ أو المبادئ التي تأسست على أرضيّتها.

تعرفنا على مفهوم نظرية كمصطلح عامّ بالمفهوم الفلسفيّ أو العلميّ العامّ بحيث يمكن بعد ذلك ربطها بأيّ من الحقول المعرفية، العلمية، الفنية الفلسفية. فالنظرية حاضرة في صلب أيّ نشاط أو فعل معرفيّ ممكن الحدوث في تاريخ الفكر البشريّ. فهناك نظريات الفلسفة، وعرف تاريخ الفلسفة نظريات عدّة، نظريات العلم، نظريات الفن، نظريات النفس، نظريات السياسة، نظريات الأدب... فما هو الأدب؟ حتى نتيج للباحث فهم ماهية المصطلح المركّب (نظرية الأدب).

ما هو الأدب؟ هو تلك النصوص الفنية التي تُكتب منذ أقدم عصور الأدب حتى اليوم، ضمن اتجاهٍ فيّ ما، والتي تصنّف في إطار أجناسي جنسين الشعر والنثر ويمكن تصنيفها أجناسياً إلى أنواع: قصة، رواية، خاطرة... الخ استنتاج العلاقة بين النظرية والأدب. وهنا بداية الوقوف على الدلالة الاصطلاحية ومقاصد وضع هذا المصطلح.

تأسيساً على ما أسلفنا، نظرية الأدب فعل معرفيّ قوامه التفكير الدّهنيّ التأمليّ أو التحليليّ، الهادف إلى معرفة الحقيقة أيّ (ماهية الأدب)، يبيّن شكري عزيز الماضي، أنّ السؤال الذي ينطلق منه المنظر بحثاً عن حقيقة الأدب، أو في مقاربة ماهية الأدب هو: "ما الذي يُميّز الأدب عن غيره؟ وما الذي يجعل من العمل الأدبيّ

97 المرجع نفسه، ص ن

98 م ن، ص ن

99 م ن، ص ن

عملاً أدبياً؟¹⁰⁰. فهذا السؤال يعبر عن معضلة معرفية وعن مُشكلة فلسفية تدور حول الماهية. والبحث في الماهية؛ ماهية الأدبي، يكون إذن من خلال التساؤل الفرعيّ المتشعب عن حقيقة الأصل، والطبيعة، والغاية. حيث تعنى النظرية إذن بالبحث في "خصائص الأدب، أو ما يميزه ويجعل منه أدبا وليس علما مثلاً. ومن ثمّ، عن الأصل المحدّد لهذه الخصائص وبالتالي، ما الغاية من ظهوره وانوجاده على هذه الصورة بالذات دون غيرها. فالخاصية والصورة التي رُكبت بها الأشياء والموجودات هي مقصودة وغائية أي جاءت لتحقيق غاية ما أو مهمة. أي "ماهية الشيء ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي"¹⁰¹.

إنّ "الأسئلة التي تعترض طريق الدّارس الأدبيّ تتمحور حول قضايا ثلاث، هي نشأة الأدب، وطبيعة الأدب، ووظيفة الأدب أي مصدره، وماهيته ومهمّته"¹⁰². وبذلك، مثلت نظرية الأدب "مجموعة من الآراء والأفكار القويّة والمتّسقة والعميقة والمترابطة، والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محدّدة، والتي تهتمّ بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته. وهي تدرس الظاهرة الأدبية بعامة من هذه الزوايا في سبيل استنباط وتأسيس مفاهيم عامّة تُبين حقيقة الأدب وآثاره"¹⁰³ وعليه يمكن إجمال قضايا النظرية الأدبية في:

-البحث في نشأة الأدب: كشف العلائق بين العمل الأدبيّ والمؤلف.

-البحث في طبيعة الأدب: جوهر العمل الأدبيّ، الخصائص، السمات، العناصر

والمكونات

-البحث في غاياته ووظيفته: العلاقة بين العمل الأدبيّ والقارئ (الجمهور).

وهو ما يشار إليه عادة بلفظ (المبادئ الأدبية) أو مبادئ الأدب، أي أسسه. لكن يبقى أنها ليست مبادئ الأدب في ذاته بل هي ما يتصوّره الوعي النظريّ الفكريّ عن

100 شكري عزيز الماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-

الجزائر، ط1، 1404هـ-1984م، ص7.

101 جميل صليبا، مرجع سابق، ص 165.

102 شكري عزيز الماضي، مرجع سابق، ص9.

103 المرجع نفسه، ص 10.

حقيقة الأدب، ويشيّد من مفهومات قد تكون محض تخمين وافترض قابل للمراجعة النقدية والتصحيح. وهو ما يفسّر تعدّد النظريات.

أما المفهوم المعاصر للنظرية فيتجلّى من خلال تعريفات جوناثان كوللر: "يتّم التعامل مع النظرية على أنّها سلسلة من "الطُرُق" المتنافسة لفهم موضوع ما، لكلّ منها أوضاعها النظرية والتزاماتها. إلّا أنّ هناك سمات مُشتركة بين الحركات النظرية (...) من الأفضل مناقشة القضايا والادّعاءات المُشتركة بدلا من إجراء مسح شامل للمدارس النظرية"¹⁰⁴.

ولكن، هل هذا التعريف لمصطلح نظرية الأدب يحظى بشرعية في صلب النظرية المعاصرة؟ ألا يُعدّ هذا المفهوم تقليدياً من وجهة النظر المعاصرة، ألا يُمكن القول إنّ المفهوم بات أكثر تعقيدا، وتعريف المصطلح يطرح إشكالا مفهوميًا: فقد "شهدت المكتبة النقدية العالمية خلال العقود المنصرمة ظهور العشرات من الكتب النقدية التي تُعنى تحديداً بفحص مفهوم "النظرية الأدبية"...وهو حقل لم يكن يجد مثل هذه العناية سابقا بمثل هذه الجدّة وهذا الاتّساع"¹⁰⁵.

وهو ما أشار إليه ج. كوللر (ما النظرية الأدبية؟) في سياق تاريخي لتصاعد حركة الجدل حول النظرية منذ 1960م: "يتنامى في الدّراسات الأدبية والثّقافيّة هذه الأيام جدل واسع حول النظرية، ليس نظرية الأدب، بل "النظرية" المحضّة"¹⁰⁶. معتقدا صعوبة فهم ماهيتها: "إنّ النظرية قد غيّرت بشكل جوهريّ طبيعة الدّراسات الأدبية، إلّا أنّ المتحدّثين بذلك لا يقصدون "النظرية الأدبية"، أي الوصف المنهجيّ لطبيعة الأدب ولطرق تحليله. فعندما يهتمّ النّاس اليوم الدّراسات الأدبية بأنّها تحوي الكثير من الفكر التجريديّ فإنّهم لا يعنون بذلك الكثير من التأمّل المنهجيّ في طبيعة الأدب أو إثارة الجدل حول السّمات المميّزة للغة الأدبية على سبيل المثال. بل على النقيض، إنّهم يعنون شيئا آخر مختلفا كلّيا"¹⁰⁷. لقد نفى المنظّر كونها وصفا لطبيعة الأدب أو

104 جوناثان كوللر، ما النظرية الأدبية؟ تر: هدى الكيلاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2009، ص5.

105 فضل ثامر، رجّع سابق، ص 86

106 جوناثان كوللر، مرجع سابق، ص 7

107 المرجع نفسه، ص ن

منهجاً لدراسته ولكن ما هو هذا المقصد المختلف كلياً؟ هذا المعنى بحسب تعريفه، والذي ساد العصور الحديثة، ليس إلا جزءاً من مفهوم النظرية. وينبغي التنبيه إلى أنها باتت "مجموعة من التفكير والكتابة من المتعذر تعريف حدودها..."¹⁰⁸. حيث "يشمل هذا النوع الأدبي" النظرية "أعمالاً عدة مثل: علم الإنسان (الأنثروبولوجي)، الفن، التاريخ، الدراسات السينمائية، دراسات الجنس... علم اللغة، الفلسفة النظرية السياسية، علم التحليل النفسي، الدراسات العلمية، التاريخ الاجتماعي والفكري، وعلم الاجتماع..."¹⁰⁹.

ومن منظور الفيلسوف ريتشارد رورتي فهي تعدّ نوعاً أدبياً جديداً ظهر في القرن 19م، ومنذ عام 1960م عرف تطوّراً لم يُسبق إليه: "تلقّف المسؤولون في الدراسات الأدبية الكتابات الصّادرة بعيداً عن مجال الدراسات الأدبية وانهمكوا في دراستها"¹¹⁰. "ويُعدُّ لقب "النظرية" (...) التسمية الأكثر توافقاً لهذا النوع مُتعدّد الجوانب"¹¹¹. النظرية كبديل لنظرية الأدب، مصطلح يُشير إلى انتقاد الحسّ العامّ ومراجعة المسلّمات. وإعادة تفكير في البدايات وطرح الأسئلة مجدداً.

نتوصّل إلى أنّ للمصطلح دلالة ثابتة: وهي المعنى الثابت المشترك بين النظريات منذ بدء تاريخها. ولذلك يعدّ صفة جوهرية تدوم عبر مختلف الأنساق النظرية مهما تكاثرت واختلفت. دلالة متحوّلة: أي متغيرة بالأحرى هي المعنى الذي يميّز نسقاً نظرياً عن غيره فيضفي عليه خصوصية معرفية ومنهجية. وهو ما يضيف أيضاً الصفة التاريخية على نسق النظرية.

ثالثاً-النقد الأدبيّ ونظرية الأدب:

يشير مصطلح نقد أدبيّ بالمفهوم العامّ والجوهريّ إلى (دراسة أعمال أدبية بعينها). ولذلك كان النقد الأدبي بمثابة الحقل التطبيقي للنظرية الأدبية. فلا يمكن للنقد أن يسائل النصوص ويخضعها إلى التقييم أو التفسير أو التحليل، دون الاستناد إلى

108 المرجع السابق.

109 م ن، ص 10

110 م ن، صص 9-10

111 م ن، ص 9

رؤية نظرية تمدّه بالمفاهيم المبدئية. وعليه تعدّ النظرية مدخلا إلى الدراسات النقدية. ومنطلقا لمهمة النقد.

واستنادا إلى فكرة أوليّة النظرية الأدبية ذهب بعض النقاد يترعّمهم ويليك إلى القول بأنّ مفهوم النظرية الأدبية أشمل من مفهوم النقد، فالنقد تابع للنظرية وبوصف آخر هو متضمّن في ثناياها. لقد تمّ توسيع مفهوم نظرية الادب ليشمل النقد؛ فالنظرية بهذا المعنى أصل وجود النقد، لا يقوم فعل نقديّ دون وجود سابق عليه يؤسّس لكيانه: نظرية الأدب.

ومن هذا المنظور "قد يشمل اصطلاح "نظرية الأدب" كلاً من "نظرية النقد الأدبي" الضرورية، ونظرية التاريخ الأدبي"¹¹². وهو خلاف ما درج عليه الاستعمال السائد "النقد الأدبي يُستعمل غالبا بطريقة يتضمّن معها كلّ نظرية الأدب، غير أنّ هذا الاستعمال يُهمّل تمييزا مفيدا. كان أرسطو منظّرا، وكان سان بوف في الأساس ناقدا"¹¹³. إذن المنظر ناقد بالضرورة اما الناقد فهو ليس منظرا بالضرورة. ولذلك يعترض النّاقدان رينيه ويليك واوستن وارين "على الاتجاه الشائع والذي يرى أنّ "النقد الأدبي" يشمل "نظرية الأدب" ويطرحان مقابل ذلك مفهوما عكسيّا يرى أنّ مصطلح "نظرية الأدب" يمكن أن يتضمّن بشكل ملائم مصطلحي "نظرية النقد الأدبي" و"نظرية التاريخ الأدبي"..."¹¹⁴.

وفي معجم نقديّ معاصر "يُحدّد(...وظيفة النظرية الأدبية بالعناية بتأسيس الأسس العامة التي يشتغل بها الأدب وتلك التي يشتغل بها النقد"¹¹⁵. وهو تعريف يلتقي مع وجهة نظرويليك واوستن المعاصرة. حيث تتداخل النظرية الأدبية بالنقدية بل يتماهى كل منهما في المفهوم الآخر. (احتواء النظرية الأدبية على النظرية النقدية) وفي الجهة الأخرى، يعترض البعض الآخر مثل جيرمي هوثورن: "على محاولة توسيع حدود مصطلح النظرية الأدبية ليشمل مفهوم استطبيقا الأدب ومفهوم نظرية

112 رينيه ويليك واوستن وارين، مرجع سابق، ص 41

113 المرجع نفسه، صص 40-42

114 فضل ثامر، مرجع سابق، ص 88

115 المرجع نفسه، ص 89

النقد الأدبيّ معاً. ويؤكد على أنّ النظريّة الأدبيّة لا تُناهض التّأويل أو تتحكّم فيه، بل تختصّ بالدراسة العامّة لطبيعة الأدب استناداً إلى التّجريد الناشئ عن ممارسة نقديّة أدبيّة حقيقيّة،...بتحديد آخر تُعنى...بطبيعة الأدب ووظيفته ودوره، ولكن ليس بالطريقة التي يتعامل بها النّاقِد مع الأعمال الأدبيّة وإنّما بتحديد ماهية هذه الأعمال الأدبيّة وما هي حدود وظائفها"¹¹⁶.

يعترف جيرمي هوثورن "بالطّبيعة الإشكاليّة لمصطلح النظريّة الأدبيّة، ويُحاول أن يميّزه عن مجموعة...من المصطلحات المُقارِبة. فهو يبتدئ بالتمييز بين ثلاثة مصطلحات أساسيّة هي النّقد الأدبيّ والنّظريّة الأدبيّة والنّظريّة النّقدية، حيث يرى أنّ النّقد الأدبيّ يُعنى بالنّقد التّطبيقيّ لنصوص معيّنة، بينما تُعنى النظريّة الأدبيّة بالمعرفة العامّة لطبيعة الأدب الذي يُمكن تجرّيده من النّقد الأدبيّ، أمّا النظريّة النّقدية فتُعنى بدراسة النّقد الأدبيّ ذاته"¹¹⁷. في الواقع إنّ هذا التعريف للنظرية والنقد لا يختلف عما قدّمه ويليك واوستن، إلّا أنه يقدّم نظريّة النّقد على أنها حقل مطابق لنقد النّقد. وهذا القول يُثير إشكالية مفهومية إضافيّة ويخلط الحدود الاصطلاحيّة، بإغفاله للتمايزات والفروق الدلالية الدقيقة بين المصطلحات: النّقد ونظريّة النّقد وفلسفة النّقد ونقد النّقد؟

وأما تودوروف، فهو "يقيم تماثلاً بين مصطلحي "الشّعريّة" و"النّظريّة الأدبيّة" ثمّ يُحاول أن يُقيم تعارضاً بين مفهوم الشّعريّة-أو نظريّة الأدب- من جهة، ومفهوم التّأويل أو النّقد الأدبيّ من جهة ثانية. فهو يرى أنّ هدف التّأويل أو النّقد الأدبيّ ينصبّ على الأعمال الأدبيّة المنفردة...بينما ينصبّ اهتمام الشّعريّة على القوانين العامّة التي تتحكّم في عمل الأدب، وأشكاله وتنويعاته"¹¹⁸. العلاقة بحسب وجهة نظره قائمة على التعارض والحقيقة انه لا يوجد تعارض بل تداخل وجدل واختلاف يؤدي الى التكامل.

¹¹⁶ المرجع السابق، ص 89.

¹¹⁷ المرجع نفسه، صص 88، 89.

¹¹⁸ م ن، ص ن.

رابعاً-النقد الأدبي وتاريخ الأدب:

وهنا ينبغي أن ننطلق من مفهوم التاريخ الأدبي والفرق بينه وبين تاريخ الأدب: في حين كان مفهوم التاريخ الأدبي يتّجه وجهة مستقلة ليبنى كيانه العلمي المنفصل عن النقد الأدبي، يرى ويليك أنّ التداخل لا يمكن نفْيُه: فالمؤرّخ يجب أن يكون ناقداً، والناقد يحتاج إلى التاريخ، والمؤرّخ يحتاج إلى نظرية ومنهج، والمنظر يحتاج إلى تاريخ الأدب.

وفي هذا السياق يجب أن ننتبه إلى أنّ ويليك يطرح رؤية أخرى عن التاريخ تختلف عن مفهوم تاريخ الأدب الخطّي: "من الناحية العملية لم يُكتب أبداً تاريخ للأدب دون بعض مبادئ الانتقاء وبعض محاولات التّقييم وتحديد الخصائص. ومؤرّخو الأدب الذين يُنكرون أهميّة النقد، هم أنفسهم نقّاد دون أن يشعروا"¹¹⁹ و"من المستحيل أن نكفّ عن كوننا أناساً نعيش في القرن العشرين حين نشغل بالحكم على الماضي: فليس بإمكاننا أن ننسى تداعيات لغتنا، ولا الاتّجاهات التي اكتسبناها حديثاً، ولا تأثير أو فحوى القرون الخالية"¹²⁰.

إذن محاولات العزل عزل التاريخ عن النقد لا شرعيّة لها من منظور ويليك فهناك تداخل بين العمليات التاريخية والنقدية، والتداخل يتجلى على مستوى نشاط حكم القيمة، والذي يحضر في صلب هذه العمليات على حدّ سواء¹²¹.

ونخلص في ضوء ما سبق، إلى فهم طبيعة العلاقة ورسم حدود العلاقة بين المصطلحات المتجاورة، أي ما يميز نسقاً مفهوماً عن المفاهيم المجاورة؛ فالنظرية حقل نظري مجرد يهتم بالمبادئ والمعايير والقوانين الأدبية العامة المشتركة، ومن ثم اقتراح طرق للتحليل والبحث في طبيعتها ماهيتها، وهنا ندخل حقلاً نظرياً آخر هو نظرية النقد. ولحظة الانتقال إلى تفعيل المناهج أو الرؤى النقدية وأدواتها الإجرائية، ندخل حقلاً تطبيقياً عملياً، هو النقد الأدبي، لأنه يتعامل مع النصوص المفردة.

¹¹⁹ رينيه ويليك، أوستن وارن، مرجع سابق، ص 45

¹²⁰ المرجع نفسه، ص ن.

¹²¹ م ن، ص 41.

أما التاريخ يهتم بالتطورات والجذور والامتدادات وتأثير الزمن في تشكيل الاتجاهات والأعمال... فهذا الاختلاف والتمايز يؤدي إلى التكامل بحيث تتضافر مهمة كل حقل مع بقية الحقول. ونتوصل في هذا المقام إلى التساؤل عن علاقة مصطلح النقد الأدبي بـ مصطلح نظرية النقد، ونقد النقد؟ وهو موضوع الدرس التكميلي، نقدّمه تمرينا فكريا تطبيقيا في قراءة نصوص المفاهيم وتحليل مضامينها وطبيعة العلاقات التجاورية القائمة فيما بينها؟

المحاضرة الرابعة:

مرجعيات النقد الأدبيّ

(الفلسفة والعلوم الإنسانية)

أولاً- في مفهوم المرجع/الأصل المعرفي:

يقتضي منا هذا المقام، رجوعاً إلى مصطلحات نستعملها وغالباً يجهل الطالب ما نقصده من هذا الاستعمال؟ وفي الآن نفسه، فإنّ موضوع العلاقات بين النقد الأدبيّ والمعارف الأخرى يستلزم الوعي بأهميّة مصطلح المرجعيّة والأصل والمصدر والمشارب والروافد، وغيرها من المفردات الدّالة على الحقل المفهوميّ نفسه ودورها في فهم موضوع النقد الأدبيّ من منظور شموليّ. فإذا، ما معنى: مصادر، أصول مرجعيات؟ وفضلاً عن ذلك، ما هي المصادر المعرفيّة والفكريّة التي تغذي النظريات النقدية، وتؤسس لكيثونة المناهج؟

ثانياً- النقد الأدبيّ والفلسفة:

ما هي الفلسفة وكيف تكون مصدراً؟

يؤكد رينيه ويليك: "النّقد هو جزء من تاريخ الثقافة بصفة عامّة، وهو قائم في سياق تاريخيّ اجتماعي. وواضح أنّ النّقد يتأثّر بالتغيّرات العامّة للمُناخ الثقافيّ وتاريخ الأفكار، بل يتأثّر بالفلسفات المحدّدة..."¹²². ويشير إلى دقّة التأثيرات التاريخية المتعدّدة الأبعاد وصعوبة الإحاطة بها إلا في عموميات: "التأثير الخاصّ للعلل الاجتماعيّة والتاريخيّة العامّة على النّقد أصعب في التقاطه وأشقّ في وصفه. ويُمكن للإنسان -يقينا- أن يلاحظ تأثير الجمهور القارئ المتّسع حتّى على أشكال النّقد"¹²³. إذ "ترتبطُ الفروق بين أشكال التُّراث القوميّ في النّقد الأدبيّ- على نحو واضح-

¹²² رينيه ويليك، (الثورة الحداثيّة 1918-1945، البيوت والبرنامج النّقدية)، ضمن: تاريخ النقد

الأدبيّ الحديث، مرجع سابق، ص 70.

¹²³ المرجع السابق، ص 71.

بالمؤسّسات والأحداث السّياسيّة والتّاريخيّة. وليس من قبيل الخيال أن نرى ارتباطا بين المملكيّة الفرنسيّة والعقيدة الكلاسيكيّة الجديدة"¹²⁴

ويركّز على علاقة التاريخ النقدي للأدب بالتأسيس وإعادة البناء "إنّ تاريخ النّقد لا يجب أن يكون موضوعا موعلا في القدم على نحو خالص، بل يجب -كما أعتقد- أن يوضّو موقفنا الزّاهن ويُفسّره. وهذا التّاريخ للنّقد الأدبيّ الحديث عليه بدوره أن يكون شاملا، وذلك في إطار يقتصر على إدراج نظريّة أدبيّة حديثة"¹²⁵.

ونسنتج أنّ التعدّد والاختلاف في المفهوم مصدره تعدد الأصول الفكريّة ويؤكد المؤلف (كريس بولديك) العلاقة بين النقد الناقد والسياق الثقافيّ الاجتماعيّ أو الوضع الثقافيّ: ومن ثمّ تتشكّل الفروق بين المفهوم القديم والحديث والمعاصر: "إذا بدأنا نعتريّ بهذا التّنوع فلا مفرّ من الإقرار أيضا باستحالة إعطاء أيّ تعريف مطلق لكلمة "نقد"، فهي تُغطّي أنواعا كثيرة من المناقشات لكلّ منها علاقة بنشاطات وخطابات أخرى -الفلسفة، الصحّافة، السّياسة، التّراجم، علم النّفس، الحياة اليوميّة، البيداغوجيا، الطّقوس، الاحتفالات، الجماليّات، الكتابة المسرحيّة، البيليوغرافيا، الأخلاق، التّاريخ، الرّقابة، الإشهار... فالنّقد خطاب هجين أو مولّد (لقيط) أو حلبة خطابات متداخلة متناحرة، ليس له أيّ نسب مُقنع، يُمكن أن يُعطيه السّيادة على مجال فكريّ كامل مُوحّد. وإذا كان النّقد يتغذّى على نقائصه، فهذا لا يعني أنّ حُلْم النّقاوة والكمال لم يُراوده، بين الفينة والأخرى؛ ففكرة نقد أدبيّ مُتحرّر من كلّ التّأثيرات الخارجيّة يصبو إلى هدف مُحدّد موحّد قد تكون وهما (...) لكنّها تركت أثرا عميقا على تاريخ النّقد الحديث في حملات مُتتالية لإنقاذ الخطاب النّقديّ من نير الخطابات القويّة الأخرى."¹²⁶.

¹²⁴ م ن، ص 73

¹²⁵ كريس بولديك، النّقد والنّظريّة الأدبيّة منذ 1890، تر: خميسي بوغراة، منشورات مغبر الترجمة في الأدب واللّسانيّات، جامعة منتوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 نفسه، ص 51.

¹²⁶ المرجع السابق، ص 10.

ماهية النقد الأدبي (النظرية والإجراء)

- الدراسات النقدية والمصطلحات:

المصطلحات المتداولة في حقل الدراسات الأدبية فيما يلي: النقد الأدبي، المنهج، النظرية، الإجراء، الرؤية، الموقف النقدي، التصور والأفكار، المفاهيم، التعريفات، الأدوات المنهجية، الجهاز المفاهيمي، المنظومة الاصطلاحية، نقد النقد، ونلاحظ غلبة السلوك الفوضوي في تحديد مفهوم المصطلح في المدونة العربية. وما يهمنا هو أن **النقد الأدبي** يحيل في أصل وضعه الاصطلاحي العلمي بما هو لدى الغرب إلى مستويين ويستحضرهما معا في الآن نفسه ألا وهما:

- النظرية (الرؤية)

- الإجراء (التطبيق)

1- النقد نظرية (نظرية المنهج/ نظرية النص):

نظرية النقد أو النقد النظري "مجموعة من المفاهيم والأسس والقضايا الشائعة بين النقاد، والمستقر عليها نسبيا فيما بينهم، تهتم بطريقة فهم وتفسير المؤلفات الأدبية خلال فترة تاريخية محددة"¹. والنقد النظري يتضمن محاولات للإجابة عن التساؤلات الجوهرية للنظرية (ماهية المنهج): ما هو أصل النقد؟ ما حقيقة النقد وماهي طبيعة طرائقه؟ وما هي وظيفة النقد أو المهمة التي نذر نفسه لها؟ أو الدور الذي يضطلع به، والغاية التي يسعى إلى تحقيقها؟ وفي ضوء هذه المحاور تتحدد طبيعة النقد هل هو ذاتي أم موضوعي؟ علمي أم انطباعي؟ نفسي أم فلسفي؟ وتشتمل على مبادئ الأدب (مفهوم الأدب) طبيعة النقد يحددها المرجع/الأصل أو المصدر المغذي لوجوده (أي الفلسفة)، ومن ثم تتحدد غاياته ومبادئه...

2- النقد منظومة مفاهيم

أي (مصطلحات) تمثل (مقولات / مبادئ/ أسس):

النقد (جهاز مفهومي) أو بالأحرى منظومة مفاهيم أو نسق مفهومي، حيث "يتأسس النقد كجهاز مفهومي متماسك يحاول أن يقبض على المعنى المتضمن في النص الأدبي وفق خطوات إجرائية محددة"²، فالنقد نظريات ولكل نظرية نقدية جهاز مفهومي يميزها عن غيرها من النظريات. و"هذا الجهاز المفهومي يتشكل من مجموعة من الرموز اللغوية والمفاهيم ذات الاستعمال المحدد، والتي لا تمارس فعاليتها إلا داخل هذه النظرية، وتفقد كل صلاحيتها خارج مجال استعمالها، والجهاز المفهومي هو

¹ المرجع نفسه، ص: 132

² المرجع نفسه، ص 51

أيضا ذلك المعمار الإجرائي الذي صيغ في شكل مجموعة من الأفكار والأنساق القيمية التي تطبقها النظرية النقدية على النص"³.

3- النقد حكم القيمة:

الوظيفة الجوهرية للنقد هي مهمة (الحكم)، وهي تمارس حضورها في مختلف تجليات الممارسة النقدية⁴، وهي تبقى وظيفة مشتركة بين جميع المناهج مهما زعمت تقويضها الدور الحكمي.

4- النقد منهاجا:

مما ورد في تعريفات المنهج:

المنهج "مجموعة من الخطوات العملية المتبعة في اكتشاف وإيضاح حقيقة ما، أو مجموعة الخطوات المنطقية المتبعة في معالجة مسألة أو ظاهرة"⁵
المنهج "إجراء له قوانينه الخاصة به"⁶.

المنهج "طريقة في التعامل مع الظاهرة موضوع الدراسة، تعتمد على أسس نظرية ذات أبعاد فلسفية، وأيديولوجية، بالضرورة، وتملك -أي الطريقة- أدوات إجرائية دقيقة ومتوافقة مع الأسس النظرية المذكورة وقادرة على تحقيق الهدف من الدراسة"⁷

المناهج "مجموعة الأساليب أو الطرق العملية التي تهدف إلى وصف نص أدبي معين أو تفسير، أو تحليل، أو تفكيك، أو تأويل... قراءة الأثر... وفق معايير"⁸

5- النقد نسقا معرفيا:

المنهج ثمرة الفكر الفلسفي والمعرفي، فهو لا يوجد بمعزل عن سياق تشكله التاريخي الثقافي الفكري، لقد "شاع أنّ المنهج مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة، وفحصها، أي مجرد خطة مضبوطة بمقاييس وقواعد وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة وتقديم الدليل عليها. هذه مجرد أدوات إجرائية، وهي في نظرنا لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج، أقترح تسميته بالجانب المرئي في المنهج، ولكن هناك باعتبار المنهج أولا...وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية، وتنشج عنه رؤية، ويتولد تصوّر وتمثّل للهدف من المعرفة ومن هذين الجانبين: المرئي واللامرئي، يتكوّن المنهج، أيّ منهج صحيح، من حيث هو منظومة متكاملة ومتناسقة"⁹، وهو تعريف جيد يضيء ماهية النقد الأدبي.

³ م ن، ص 50

⁴ ينظر م ن، ص 58

⁵ كريس باركر، مرجع سابق، ص 121

⁶ ميجان الرّويلي، مرجع سابق، ص 302

⁷ سيد البحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص 9

⁸ كريس باركر، مرجع سابق، ص 126.

⁹ ينظر: عباس الجراري، خطاب المنهج، صص 40-41

6- النقد إجراء :

يحول لفظ الإجراء بالضرورة إلى التطبيق والفعل والممارسة؛ الحقل التطبيقيّ وهو كل العمليات التطبيقية للمناهج وأيضاً النتائج والخبرات والمكاسب والمحصلات.

- نتائج:

النقد مدلول متحول متغير ومتعدد بفعل العوامل التالية:

- ارتباطه بسياقه المعرفي (ارتباطه بعلوم أخرى النفس الاجتماع اللغة)
- ارتباطه برؤية فلسفية (ارتباطه بالنظريات الفلسفية المتعددة أيضاً الواقعية المثالية الظاهرية، وهي ما يسمى بالخلفيات المرجعيات الفكرية الفلسفية).
- ارتباطه بسياقه التاريخي (بين قديم وحديث ومعاصر).
- ارتباطه بسياقه الثقافي (المناهج الغربية تختلف عن العربية، والفرنكفونية تختلف عن الانجلو سكسونية).
- ترتبط بخبرة الناقد (الخبرات الذاتية والشخصية للناقد المستعمل تختلف طريقة توظيف الكلمة بين النقاد حتى داخل السياق التاريخي نفسه والبيئة الثقافية نفسها).
- و يمكن تجريد ماهية النقد في المفهوم المجرد:
- النقد هو المنهج ويساوي الرؤية والإجراء.
- النقد هو جماع تكامل النظرية والتطبيق.
- النقد تجربة فردية تخص الناقد عينه.
- النقد يتضمن دلالة الحكم.
- النقد يتغذى على فلسفة تؤسس لوجوده.

المحاضرة الرابعة
الحداثة وما بعد الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر
(المفهوم والعلاقة)
(مدخل مفاهيمي مختصر)

تمهيد:

إنّ الوقوف على مصطلحات: الحداثة وما بعد الحداثة -على ايجازها- تعدّ خطوة تمهيدية لطريق رحلتنا، في مسالك المقاربات النقدية المعاصرة. إنّ هذين المصطلحين بمثابة معلمين رئيسين، يمكن الاسترشاد بهما، في مسيرة الاقتراب من خريطة النقد الغربي المعاصر، فما دلالة كل منهما؟ وما العلاقة؟ وما هي أصولهما التاريخية والفلسفية؟

أولاً- مصطلح (الحداثة) و (الحداثيّة):

بداية، ننوّه بضرورة التمييز بين المصطلحين: (الحداثة) و(الحداثيّة)، مع وجود باحثين يوظفون كلمة الحداثيّة مرادفاً للحداثة. إلا أنّ الحداثة مصطلح يشير إلى مغزى التحرّر من قيود الزّمن، وبالتالي فالمصطلح متحرر من قيود المذهب ولا ينتمي إلى سياق تاريخي أو فلسفي بعينه، في حين إنّ الحداثيّة تشير إلى صفة المذهبيّة بوصفها حركة منغلقة على زمنيتها¹.

وقبل الوقوف على مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة في النّقد الأدبيّ الغربي المعاصر، ينبغي التنبيه إلى أن الحداثة (MODERNITE) مصطلح شامل، متصل بمختلف حقول المعرفة والثقافة؛ السياسة والاقتصاد والاجتماع...، فهي كما عرّفها جان بودريار، "ليست الحداثة مفهوماً سوسيولوجياً، أو مفهوماً سياسياً، أو مفهوماً تاريخياً بحصر المعنى، وإنّما هي صيغة مميزة للحضارة، تعارض صيغة التقليد (...). ومع ذلك تظلّ الحداثة موضوعاً عامّاً يتضمّن في دلالاته، إجمالاً، الإشارة إلى تطوّر تاريخيّ بأكمله، وإلى تبدّل في الدّهنيّة"². وعليه، أمكن عدّ الحداثة "تجاوزاً للزمن، وليست حركة آنيّة ارتبط ظهورها بظروف معيّنة،

¹ ينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005، ص 17.

² مادة (MODERNITE) في ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS نقلاً عن: المرجع نفسه، صص 15، 16.

فهي دعوة إلى التمرد على كل قاعدة أو مذهبية، لأنّ تحديدها يعني موتها والقضاء على روح الإبداع فيها، فهي ذلك المشروع الذي لم يكتمل بعد"³.

وإذا كانت الحداثيّة الغربية "حركة وقتيّة وآنيّة استنفذت أهدافها، فإنّ الحداثة نزوع دائم للابتكار وجوهر متواصل قابل للاستئناف والتواتر والاطراد. إنّ الحداثة بهذا المعنى تظلّ مصطلحا شاملا يضمّ تحت قبّته الواسعة أغلب حركات التجديد في الأدب والفنّ"⁴. نستخلص في ضوء ما سلف أنّ:

الحداثة حركة متواصلة من التجديد والإبداع، تحمل في ذاتها قابليّة للتكيّف مع متغيّرات التاريخ، فهل هذا يعني أنّ الحداثة النقدية تشير إلى ذات المعنى؟ وما علاقة الحداثة بما بعدها؟ وهل يجوز القول بأنّ ما بعد الحداثة نقض للحداثة؟

ثانيا- مصطلح الحداثة وما بعدها في النّقد والأدب:

لقد ظهر مصطلح (ما بعد) الحداثة في النّصف الثاني من القرن العشرين، وتشير البادئة (ما بعد) وتقابل في اللغة الأجنبية: (POST)، إلى فعل التّجاوز أو البعدية، حيث تتبدّى ما بعد الحداثة بوصفها مرحلة نقدية جديدة، حلّت بديلا عن سابقتها.

ونلاحظ وجود اختلاف في كيفية توظيف هذه المصطلحات من ناقد إلى آخر، حيث "يستخدم البعض كلمة "حداثة" بصفة العموم فتشمل كلا من البنيويّة والسيميولوجيا ونظريّة القراءة واستراتيجيّة التفكيك (...). على أساس أنّ هذه المشاريع النّقدية جاءت مناهضة للنّقد الانطباعيّ السياقيّ (الاجتماعي، الواقعي، التاريخي، النّفسي)"⁵، في حين يذهب فريق آخر إلى القول بوجود وجهين للحداثة، هما: البنيوية، وما بعد البنيوية. وإذا كان مصطلح الحداثة يشير إلى مناهج النقد البنيوي، فإنّ مصطلح ما بعد الحداثة يشير إلى مناهج النقد ما بعد البنيوي، أي استراتيجيات التفكيك والتأويل والقراءة.

ونرجّح خيار إقامة التّمايز بين هذين المصطلحين؛ فمصطلح "ما بعد الحداثة يُعبّر حقيقة عن مرحلة مخالفة لمرحلة الحداثة"⁶، وهو ما تؤيّده البادئة (ما بعد)، والتي تشير إلى مرحلة تاريخيّة ومعرفيّة، قد تجاوزت ما قبلها.

³ المرجع السابق، ص 18.

⁴ فضل ثامر: مدارات نقدية (في إشكاليّة النقد والحداثة والإبداع)، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 1987، ص 178.

⁵ عبد الغني بارة، مرجع سابق، ص 26.

⁶ المرجع نفسه، ص 26.

ويبقى مؤكداً أن ما بعد البنيوية، ماهي إلا امتداد للبنيوية: "المتأمل في صيحات أنصار مشروع "ما بعد الحداثة" يسلّم بأنّ الحداثة مسخت ولم يعد لها وجود. هذا ما يبدو من ظاهر المصطلح. لكن المضمّر فيه هو أنّ مشروع ما بعد الحداثة لا يعدو أن يكون محاولة لتجذير فكرة الحداثة وترسيخها بإعادة مراجعتها"⁷، حيث تتبدّى الحداثة النقدية وهي تقوم بإجراء مراجعة نقدية لذاتها، انتهت إلى ميلاد نقد ما بعد الحداثة من رحم النّقد البنيوي؛ إن كلا منها "يخرج إلى الوجود كنتيجة طبيعية لتراجع المشروع السائد الذي يتوارى معلنا أحقيّة المشروع البديل"⁸.

ثانياً-المرجعيّات الفكرية للحداثة النقدية وما بعدها:

تأسس على ما تقدّم في محاضرة النقد ومرجعياته الفلسفيّة والمعرفية، فلا يمكن تناسي حقيقة انتماء المناهج إلى أصول فلسفيّة وروافد فكريّة، ونعني بها ذلك المناخ الفكري المعرفي الثقافي (الفلسفي) الذي احتضن بذور المشاريع النقدية؛ فالنقد الحداثي -كما هو حال النقد ما بعد الحداثي- نتاج مناخ فكري وثقافي وحضاري لمسيرة الأمّة عبر تاريخها، وقد شهد النقد الغربي ميلاد المناهج النقدية من رحم الفكر الفلسفي الغربي.

ويمكن ملاحظة الروابط بين مقولات الفلسفة ومقولات النقد (الحداثي وما بعده): "إنّ المصطلحات التي يستخدمها النّقاد مثل: الدّاخل والخارج، الشكّ واليقين، التأويل، الظّاهراتيّة، الميتانقد، الميتالغة، اللغة الواصفة، الذات والموضوع، النصيّة، التناصّ، الهوّة، الانتشار، الخطاب، المكتوب، المنطوق، مأخوذة من حقل الفلسفة لا سابق عهد للنّقد بها"⁹ فالصّراع الذي نشب بين الحداثة وما بعدها، هو في الواقع، ليس سوى تعبير عن أزمة العقل الفلسفي الغربي في القرن العشرين. والصراع قائم بين مجموعة من الثنائيات المتعارضة: الدّاخل/الخارج، الذات/الموضوع، العقل/الجسد، الروح/المادّة، الشكّ/اليقين.

يؤكد ميشال فوكو أنّ البنيوية "ليست فلسفة واضحة، بل هي نتاج فلسفات مختلفة. وعليه لا يمكن حصر البنيوية كمشروع حداثي في فلسفة معيّنة (...) فهذا ليفي ستراوس يربطها بالفلسفة المادّية، بينما تتعلّق عند جيرو بالفلسفة المثالية في حين يستخدم

⁷ المرجع السابق، ص 20.

⁸ المرجع نفسه، ص 38.

⁹ م ن، ص 65.

التوسير مفاهيم الإجراءات البنيوية ضمن الفلسفة الماركسية¹⁰، على أن التصنيف المتداول يربط بين البنيوية والفلسفة العلمية - الوضعية التجريبية المثالية، في حين يذهب البعض إلى النظر إليها بصفاتها مذهباً فكرياً أكثر من كونها منهجاً.

وتقوم النزعة العلمية التجريبية على الأسس التالية:

- اليقين الموضوعي

- فصل الذات عن الموضوع

- سلطة العقل التجريبي (اللوغوس) أو الخبرة المادية.

أما (التفكيك)، والتأويلات (الهرمينوطيقا) والتي تصنف ضمن مرحلة النقد ما بعد الحداثي: فلا يمكن حصرها كذلك في فلسفة واحدة؛ التفكيك فهو من أبرز توجهات النقد المعاصر (ما بعد الحداثي) لا ينتمي إلى فلسفة بعينها بل يجمع مختلف الفلسفات الغربية المعاصرة مثل: الظاهراتية والوجودية والعدمية والارتباطية... ويظل الاختلاف في تصنيفها الفلسفي قائماً بين الباحثين ومنهم من يصنفها ضمن الوجودية العدمية أو العبثية. في حين مثّلت تفكيكية دريدا فلسفة قائمة بوجودها (فلسفة الاختلاف والغيرية) وقاعدتها هي مقولة جاك دريدا (أنا لست معك ولست ضدك، أنا مختلف عنك). أما الهرمينوطيقا أو النقد التأويلي فهي ترجع بدورها إلى مختلف الفلسفات المعاصرة: الظاهراتية الوجودية والوجودية التاريخية... وقد توصلت إلى تأسيس فلسفة قائمة بذاتها تسمى (فلسفة التأويل) والتي تقوم على فلسفة التاريخ ما بعد الحداثية ويمكن تصنيفها ضمن توجهات الفلسفة (التاريخانية) الأكثر تقدماً.

¹⁰ قواس نبيل، البنيوية من التجذير الفلسفي إلى التثوير النقدي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد: 1، ص 230.

